

المحاضرة رقم (03)

الحركة التعليمية في المغرب الأوسط

عرفت الحركة الفكرية في المغرب الأوسط أزهى ازدهارها في العهد الزياني، حيث عرفت ازدهار ثقافي وتعليمي كبير وبلغت تلمسان الحاضرة أوج مجدها الحضاري والفكري وذلك يعود إلى حركة التعليم التي ساهمت في بروز جيل من العلماء الذين قادوا على عاتقهم المسيرة العلمية خلال هذا العهد إلى الأمام. ومن هنا فقد كان التعليم منتشرا في مدن وقرى المغرب الأوسط بكل مستوياته بحيث أدت كل من المساجد والكتاتيب والمدارس والزوايا دورها فيه باعتبار أن إحدى هذه الأماكن كانت بمثابة المنبع الذي يأخذ منه طالب العلم خلال هذه الفترة. ولا عروءة في أن نتطرق بنوع من التحليل للكشف عما كان يكتنف الحركة التعليمية ومراكزها التي يتم فيها التعليم وطرق الأخذ من العلماء والشيوخ وما ينجر عن ذلك من الارتحال من أجل الحصول على الإجازة العلمية.

المراكز التعليمية في المغرب الأوسط:

1- المساجد:

لقد ارتبط تاريخ التعليم في الحضارة الإسلامية ارتباطا وثيقا بالمسجد قبل تأسيس الكتاتيب والمدارس والزوايا بحيث قامت حلقات الدرس فيه منذ أن نشأ لأول مرة واستمرت كذلك على مر القرون وفي مختلف الأمصار الإسلامية دون انقطاع. هذا إضافة إلى ما كان يقوم به المسجد من وظائف أخرى كاجتماع الناس فيه للعبادة وعقد حلقات البحث والمناظرات والاستماع لدروس اللوعظ والإرشاد والإفتاء، كما كان له دور فعال في الحياة السياسية والاجتماعية والدينية في دولة الإسلام فكانت تذاع فيه الأخبار الهامة التي تتعلق بمصالح العباد وقراءة البلاغات الرسمية للدولة، كما كان له دور إداري لأنه اتخذ مكانا لا يرام عقود الزواج والصفقات التجارية.

أما السبب الذي جعل المسجد يؤدي دورا تربويا هاما هو أن الدراسات الأولى كانت تهتم بتعاليم الإسلام باتخاذ مكانا لدراسة القرآن الكريم والفقه والأجدب، والمغرب الأوسط كغيره من الأمصار الإسلامية الأخرى انتشرت فيه المساجد والجوامع منذ أن فتحه المسلمون، وقد استمرت الحركة المعمارية بشكل كبير خاصة في بناء بيوت الله. لاسيما حاضرت تلمسان التي تزخر بأروع ما أبدعه

وأنتجه الفن المعماري الإسلامي في الغرب الإسلامي خلال العهد الزياني ومن أهم مساجد وجوامع المغرب الأوسط نذكر:
مسجد أكادير:

تم بناء هذا المسجد على يد المولى "إدريس الأول" مؤسس دولة الأدارسة الأشراف في المغرب الأقصى حيث ضم تلمسان لدولته سنة 173هـ/ 789م، كما قام بعده ابنه "إدريس الثاني" بإعادة ترميم وتوسيع هذا المسجد وحظي هذا المسجد أيضا بعناية من السلطان يغمراسن بن زياد الذي أقدم على ترميمه وتشبيد مئذنته.

* الجامع الأعظم بتاقرارت:

يعد هذا المسجد من أهم مساجد المرابطين التي بقيت قائمة تطاول الزمن ومحتفظا بشكله الأصلي. وقد تم تشييده على يد الأمير "علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي" سنة 530هـ/ 1136م، وانفرد هذا المسجد بالمسجد المعمارية الأندلسية لأن الذين أشرفوا على بنائه يكون علي بن يوسف قد جاء بهم من بلاد الأندلس. لقد كان هذا المسجد بمثابة جامعة النمط ابل'قديم، كجامع الزيتونة بتونس والقرويين بفاس وجامع غرناطة بالأندلس وأصبح هذا الجامع قبلة العلماء وطلاب العلم الذين توافدوا عليه للأخذ من علمائه، وظل دوره الديني والتعليمي واشعاعه الفكري والثقافي قائما طيلة العهد الزياني.

* مسجد سيدي أبي الحسن:

يعتبر هذا المسجد من أبداع المساجد التي شيدت في العهد الزياني، ويعود تاريخ بنائه إلى عام 696هـ/ 1296م من قبل السلطان الزياني، "أبي سعيد عثمان بن يغمراسن" وحمل هذا المسجد اسم العالم "أبي الحسن التنسي" الذي استقر بتلمسان بعد انتقاله إليها من تنس في عهد يغمراسن. ويحدّها المسجد من أوع المساجد الزيانية في مدينة تلمسان.

* مسجد أولاد الإمام:

تم بناء هذا المسجد في عهد السلطان الزياني "أبي حمو موسى الأول" (707هـ/ 718هـ) (1307م- 1318م)، وهو يقع وسط المدينة ويمتاز بناؤه بالبساطة وخلوه من الزخرفة والأبهة التي تميزت بها مساجد أمراء بني زيان، وتاريخ بنائه مجهول.

وبني هذا المسجد خصيصاً للأستاذين الأخوين ابني الإمام "أبو زيد عبد الرحمان و"أبو موسى عيسى" لذا جاءت تسمية المسجد نسبة إليهما، وكان هذا المسجد تابع للمدرسة التي بناها أبو حمو موسى الأول .

* مسجد سيدي إبراهيم المصمودي:

شيد هذا المسجد في عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني بجانب القبة والزاوية والمدرسة، وهي المرافق التي بناها هذا السلطان تكريماً لوالده "أبي يعقوب" ويظهر تأثر هذا المسجد في بنائه بالعمارة المرابطية والموحدية.

*مسجد سيدي أبي مدين بالعباد:

يعتبر المسجد من أهم المساجد المرينية بالمغرب الأوسط على الإطلاق حيث تم بناؤه بأمر من السلطان "أبي الحسن المريني" سنة 739هـ/ 1339م حين استولى على تلمسان وأخذ هذا المسجد اسم الوالي أبي مدين الذي كان ولا يزال له أثر كبير في نفوس سكان تلمسان.

* مسجد سيدي الحلوي:

بني هذا المسجد بأمر من السلطان "أبي عنان فغارس" المريني سنة 759هـ/ 1353م حين استولى على تلمسان والمغرب الأوسط، وسمي بمسجد سيدي الحلوي، نسبة إلى قاض الأندلس "أبي عبد الله الشوذي" المعروف بالحلوي، الذي هاجر الأندلس واستقر بتلمسان سنة 655هـ/ 1266م فبيب عهد السلطان يغمراسن بن زيان وهذا المسجد يشبه إلى حد كبير مسجد أبي مدين في هندسته.

* الجامع الكبير بندرومة:

يعتبر هذا المسجد أحد الجوامع الثلاثة الكبرى التي بناها المرابطون بالمغرب الأوسط وهو صغير المساحة مقارنة بالجامعين الأعظم بتلمسان والجامع الكبير بالجزائر.

* الجامع الكبير بمدينة الجزائر:

لقد شيد هذا الجامع من قبل الأمير يوسف بن تاشفين المرابطي في أواسط القرن 11م (5هـ) وهو يعتبر إحدى المآثر المرابطية في مجال الفن الإسلامي المغربيين وقد زاد في ه السلطان الزياني "أبو تاشفين الأول" المنذنة. وأخيراً نقول أن هذه أهم المساجد والجوامع التي ساهمت في الإشعاع العلمي والحضاري ببلاد المغرب الأوسط.

